الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه مسائل الجاهلية :

العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام.

****

قال رحمه الله تعالى : «**العشرون**» أي من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها وإبطالها وبيان فساد ما عليه أهلها

قال: «**اعتقادهم**» أي المشركون من الكتابيين والأميين «**في مخاريق السحرة وأمثالهم**» ؛ مخاريق السحرة : أي الأمور الخارقة للعادة ؛ عادة الناس وما ألفوه من الأشياء المنتظمة والمألوفة في حياتهم . فالمخاريق التي تقع على أيدي السحرة وأمثالهم أي من الكهان والعرَّافين والمنجمين وغير هؤلاء قد تكون سبب فتنة لكثير من الناس للتعلق بالباطل والأوهام والضلال والفساد ، وهذا أمرٌ كان من وراء فتنة كثير من الناس وتعلقهم بالباطل والضلال ؛ ولهذا ذكر رحمه الله تعالى أن من اعتقاد أهل الجاهلية: أنهم يعتقدون في مخاريق السحرة ؛ مخاريق السحرة أي الأمور الخارقة للعادة التي تجري على أيدي السحرة وأمثالهم .

قال : «**يعتقدون أنها من كرامات الصالحين**» أي كل أمرٍ خارق للعادة يرونه على رجل يجعلونه كرامةً من الله سبحانه وتعالى له ، ولم يتنبه هؤلاء أن خوارق العادة تكون على أقسام ثلاثة:

❖ القسم الأول: خارقٌ للعادة يجريه الله تبارك وتعالى على يد نبي من أنبيائه ورسول من رسله مما خص به جل وعلا رسله الكرام ؛ وهذه تسمى «آيات» ، لأنها علامات من العلامات على صدق النبوة وتأييد الله تبارك وتعالى لهم ، مثل انشقاق القمر ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١] ، هذه آية من الآيات التي تظهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم . وليس ما يظهر صدق النبي الآيات فقط ، بل صدقه يظهر من أمورٍ كثيرة وأبوابٍ عديدة بينها أهل العلم . الشاهد أن الأمر الخارق للعادة الذي يُجريه الله تبارك وتعالى على يد نبي من أنبيائه هذا آية من آيات النبوة ؛ تكثير الطعام بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ، نبع الماء من بين أصابعه ، إلى

غير ذلك من الأمور الخارقة للعادة التي أجراها الله جل وعلا على يدي نبيه عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله هذه كلها من آيات النبوة.

❖ القسم الثاني: الأمر الخارق الذي يجريه الله تبارك وتعالى لصالحٍ من الصالحين وعابدٍ من العبَّاد المطيعين لله تبارك وتعالى ، وكرامة الولي من أولياء الله تبارك وتعالى هي آيةٌ للنبي ، لأنه نالها بإتباعه له وطاعته ولزومه نهجه ؛ وهذه ليس ضابطها مجرد الخارق نفسه وليلاحظ هذا ، ليس ضابطها مجرد الأمر الخارق ووجوده ، وإنما ضابطها صلاح الإنسان واستقامته ؛ ولهذا قال العلماء : «أعظم كرامة لزوم الاستقامة» ؛ أن يلزم الإنسان طريق الاستقامة والإتباع للنبي صلى الله عليه وسلم ، فليس دليل فضل الإنسان ووجود الخارق على يديه ، وإنما دليل فضله وشاهد نُبله استقامته على طاعة الله واتباعه لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. والخارق الذي يجريه سبحانه وتعالى لبعض أوليائه الصالحين من عباده يكون لأحد أمرين : إما لحجة أو لحاجة ، إما لحجة يؤيده بها تبارك وتعالى ويُظهر صدق ما يدعو إليه من إتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، أو لحاجةٍ في ضرورة من الضرورات في طعام أو صحة أو نجاة من هلكة أو نحو ذلك من الأمور ؛ فهي تكون للحجة وتكون للحاجة . ومن أمارات الصلاح والصدق مع الله تبارك وتعالى أن من يُجري الله سبحانه وتعالى على أيديهم الكرامات لا يتفاخرون بها على الناس ولا يتعالون بها عليهم ولا يجعلونها وسيلة لترأسهم أو ترفعهم أو غير ذلك من الأغراض والغايات والمصالح التي تكون في غير الأولياء والصالحين من عباد الله تبارك وتعالى. فإذاً هذا القسم الثاني ؛ القسم الثاني: الأمور الخارقة للعادة التي يجريها الله سبحانه وتعالى على أيدي الصالحين من عباده ، وهذه يسميها أهل العلم «كرامات الأولياء» وهي حق ، كرامات الأولياء حق ، والله سبحانه وتعالى منَّ على كثير من أوليائه بأنواع من الكرامات المتنوعة ، وكُتب السير والتاريخ والأخبار مليئة بالشواهد على ذلك ، حتى قال شيخ الإسلام رحمه الله : تعداد ذلك مثل المطر. كثيرة جداً هذه الأمور التي يمن الله سبحانه وتعالى بها على الصالحين من عباده . وكما قدَّمْت –وأعيد ذلك مؤكداً– ليس مقياس صلاح الإنسان وجود الأمر الخارق للعادة، بل مقياس صلاح الإنسان هو لزومه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكه بطاعة الله جل وعلا ومحافظته على فرائض الإسلام وواجبات الدين وُبعده عن المحرمات ؛ ولهذا قال أهل العلم في هذا الباب : «أعظم كرامة لزوم الاستقامة» ، وأرادوا بهذه الكلمة قطع الطريق على الدجاجلة وأهل الباطل الذين يستعملون الخوارق للعادة سبيلًا للضلال والباطل ونشر الفساد في الناس .

❖ القسم الثالث من الخوارق للعادة : ما يتحدث عنه المصنف هنا رحمه الله تعالى بقوله «مخاريق السحرة

وأمثالهم»؛ الذين يتعلقون بالشياطين ويتقربون إلى الجن ويحصل على أيديهم أشياء خارقة لعادات الناس ؛ تكون بتعاونهم مع الشياطين وتقربهم لهم وعبادتهم للشياطين من دون الله تبارك وتعالى يحصل أمور خارقة للعادة فيفتتن الناس بهؤلاء ، مثل حمل الشياطين لبعض هؤلاء في الهواء ، أو تمكين هؤلاء من السير على الماء ، أو وطئ النار ، أو ابتلاع النار ، أو نحو ذلك من الأمور الخارقة للعادة ولمألوف الناس ؛ فتكون سبباً لفتنة الناس بهم وتعلق الناس بهم وظنهم أنهم من أولياء الله الصالحين ، مع أنهم لا يُعرفون باستقامة ولا يحافظون على واجبات الدين وأهم ذلك الصلاة ، لا يعرفون بالمحافظة على الصلاة في جماعة المسلمين، ويُعرفون بأنواع من الفسوق والمعاصي بل والكبائر وعظائم الآثام ، ومع ذلك ينفتن بهم الطغام والعوام والجهال ويعتقدون أنهم من أولياء الله تبارك وتعالى المقربين ، وأن وجود هذه الأمور الخارقة للعادة على أيديهم دليلًا على ولايتهم ، مع أنها أمور وُجدت بسبب ضلال هؤلاء وتعلقهم بالشياطين وتقربهم لهم . ولهذا يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله عندما كان يتحدث عن آية الكرسي وتكلم كلاماً عظيماً جداً قال : لو قُرئت هذه الآية بصدق –آية الكرسي– التي اشتملت على خمسة أسماء حسنى لله وأكثر من عشرين صفة . يقول: لو قرأت هذه الآية بصدق على تلك الأحوال الشيطانية أبطلتها، وذكر بعض الأمثلة على ذلك ؛ بعض من كانوا يطيرون أمام العوام بالهواء يدجلون عليهم يقولون قرئت عليهم أو قرأنا هذه الآية عليهم فسقطوا. تُبطل الأحوال الشيطانية وتطرد الشياطين من المكان .

فيجب هنا على المسلم أن يفرّق بين «الكرامة» وبين «المخاريق الشيطانية ومخاريق السحرة والدجاجلة» ، يجب أن يفرق بين «أولياء الرحمن» و«أولياء الشيطان»، يجب أن يفرّق بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» ؛ فإنه إن لم يفرّق أُفسد عليه دينه وأُتلفت عقيدته وأُوقع في الضلال والباطل . قد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كتاباً عظيماً في هذا الباب سماه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ؛ وذلك أن بعض الناس لا يفرق بين ولي الله تبارك وتعالى وولي الشيطان ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧] ، فبعض الناس لا يفرق بين ولي الله وولي الشيطان ، والفرق بينهما واضح لكن من الناس من لا يفرق ويُخدع ببعض الأمور الخارقة للعادة فيبني عليها .

ولهذا قال أحد السلف المتقدمين كلمة جميلة ينبغي أن تُحفظ ويُعتنى بها ؛ قال : «إذا رأيت الرجل يطير في السماء أو يمشي على الماء فلا تقبلنَّ منه حتى يأتي بشاهدين عدلين: كتاب الله ،وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام»، إذا

جاءك بالشاهدين العدلين الكتاب والسنة بمعنى إن كانت أعماله وأقواله مبنية على الكتاب والسنة تَقبل منه ، أما مجرد كونه حصل على يديه خارق للعادة فهذا ليس مقياسًا وليس برهانًا ولا علامةً ، علامة صدق الإنسان أتباعه لسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وتعظيمه لكلام الله وعنايته بدين الله تبارك وتعالى ؛ هذه العلامة الصادقة . أما الدجاجلة وأكلة أموال الناس بالباطل ومَن يُظهِرون على أيدي الناس أشياء خارقة للعادة ، بل أحياناً يأتون بأشياء ليست خارقة للعادة ولكنها ليست موجودة في بلد معين ، بلد فقير مثلاً يأتون بأشياء ما سمع بها الناس فيجعلونها سبباً لإبراز أنفسهم وإظهار مثلاً ولايتهم وأنهم من أهل الكرامات .

ذكر لي أحد الناس أن قرية من القرى في بعض الدول النائية أراد بعض الناس أن يُدخِلوا القرية في بعض الطرق الباطلة فبنوا لأحد أتباعهم بناية جميلة ووضعوا فيها المكيف الصحراوي الذي يدفع الهواء البارد حتى يكون المكان بارداً جميلاً ، هذا ما يعرفونه أول مرة يرون هذا الشيء في تلك القرية ، ووضعوا باباً كبيراً ينفتح بزر ، يضغط الزر ثم ينفتح الباب ، ووضعوا له فراش فاخر ومجلس فاخر ثم أشيع أنه هذا من الأولياء، وإذا اجتمع الناس عند الباب ضغط بخفية الزر الذي عند قدميه ثم ينفتح الباب ؛ قالوا هذا دليل أنه من أولياء الله ، عنده باب إذا أردنا أن نخرج انفتح وإذا أردنا أن ندخل أغلق الباب . وفُتن الناس بهم ، قالوا ثم إنَّ أحد هؤلاء قُدِّر له أن جاء لبعض المدن المتحضرة المليئة بمثل هذه الأشياء فتبين له أن كل هؤلاء أولياء في المدن المتحضرة لأنهم عندهم أجواء مكيفة وعندهم الأبواب هذه الأتوماتيكية فكلهم من أولياء الله .

فالعوام يُخدعون بأشياء أصلاً ليست خارقة للعادة، ويُخدعون أيضاً بالأشياء خارقة للعادة ويُفتنون في دينهم ؛ فينبغي أن ينتبه هنا المسلم لقضية نؤكد عليها وهي: أن مجرد وجود الأمر الخارق للعادة لا يجوز أن يفتن الإنسان ، لأن الخارق للعادة قد يكون يحصل عن طريق التعلق بالشياطين وعن طريق السحر والشعوذة وأشياء من هذا القبيل ، فالخارق للعادة بحد ذاته ليس مقياساً على صلاح الإنسان وولايته ، المقياس على صلاح الإنسان وولايته استقامته على طاعة الله ، ثم المستقيم على طاعة الله – وانتبهوا لهذا الضابط المهم – لا يمكن أن يزكي نفسه عند الناس ويقول لهم أنا وليّ من أولياء الله ، أما أصحاب الخوارق الشيطانية فلا يبالي يقول لهم " أنا ولي من أولياء الله وأنتم لا تعرفون قدري ولا تعرفون مكانتي أنا كذا وأنا كذا " ؛ هذا لا يقوله الصادق لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[النجم:٣٢] . عبدالله ابن أبي مُلَيكة تابعي جليل يقول : «أدركتُ أكثر من ثلاثين صحابياً كلهم يخاف النفاق على نفسه»؛ صحابة أفاضل كرام لهم مكانتهم العالية لكنهم يخافون!! يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن»؛ تجده مسيء لا يصلي لا يحافظ على الصلاة يرتكب المحرمات ، وآمن! ويقول أنا من الأولياء أنا من كذا يثي على نفسه يطري نفسه . فيجب أن يفرق المسلم بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وألا يُخدع بالأمور الخارقة للعادة التي فتنت كثيرًا من الناس وأضلتهم عن سواء السبيل .

قال: «**اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام**» يعني ينسبون هذه الأمور الخارقة للعادة أو السحر أو الدجل أو نحو ذلك إلى الأنبياء أو المعظمين كما نسبوه إلى سليمان ، ومر معنا تبرئة الله سبحانه وتعالى لنبيه سليمان من هذه النسبة الباطلة بقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال رحمه الله:

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء والتصدية.

****

قال : «**الحادية والعشرون**» أي من مسائل الجاهلية «**تعبدهم**» أي تقربهم «**بالمكاء والتصدية**» ؛ المكاء: هو الصفير الذي يصدر عن طريق النفخ في الفم ، إما بالفم مجرداً ، أو بوضع اليد على الفم بطريقة معينه حتى يخرج للهواء المندفع من الجوف وله صوت يقال له الصفير . والتصدية: هي التصفيق ؛ وذلك بضرب اليدين ببعض بحيث يصدر صوتاً عالياً من هذا الضرب.

فكان الجاهليُّون من الأميين والكتابيين يتقربون بالمكاء والتصدية ؛ أي بالصفيق والصفير . وسبحان الله ثم سبحان الله !!كانوا عند بيت الله الحرام وعند الكعبة المشرفة في جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء يطوفون ببيت الله تبارك وتعالى عراةً نساءً ورجالاً حتى ليس عليهم ما يستر العورة المغلظة عند الكعبة شرَّفها الله! كانوا يطوفون عند الكعبة عراةً حتى ليس عليهم ما يستر العورة المغلظة رجالاً ونساءً ! ويصفقون ويصفِّرون عند الكعبة عراة منظر من أقبح المناظر وأخزاها وأشنعها ، عراة ليس عليهم ثياب ، حتى المرأة كانت تطوف مع الرجال عارية ليس عليها حتى ما يستر عورتها المغلظة! وإحداهن كانت تطوف وتقول: "اليوم يبدو بعضه أو كله ، فما بدأ منه فلا أحله" ؛ لا أحله يعني أن يمسه أحد . لكنهم في جاهليتهم الجهلاء ظنوا أن هذه قربة وطاعة يُتقرب بها إلى الله ؛ فيطوفون عراة رجالاً ونساءً ، وعبادتهم عند الكعبة صفير وصفيق ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:٣٥] ، مكاءً: أي صفيراً . وتصدية: أي صفيقا كما قال ذلك ابن عباس وابن عمر وغير واحد من الصحابة والمفسرين في معنى هذه الآية الكريمة .

فكانت هذه عبادتهم ؛ صفيق وصفير ورقص وقفز وخفض وتمايل ، هذه عبادتهم يصفقون ويصفرون ويتمايلون ويترنحون ، هذه عبادتهم عند البيت ، وقل مثل هذا وشبيهاً به عند النصارى واليهود ؛ عبادتهم مشتملة على الصفيق والصفير والرقص ، حتى في التوراة المحرفة المبدَّلة نُصَّ فيها على هذه المعاني ؛ «سَبِّحوا الله بالمزمار والعود» هكذا مكتوب في التوراة (سَبِّحوا الله بالمزمار والعود والرقص على النغمات) وأشياء من هذا الكلام موجود في

التوراة المحرفة ويعملون به !! يصفرون ويصفقون ويأتون بالمزامير والأعواد ويطبّلون ويجعلون هذه قربة لله تبارك وتعالى . فهذه جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

التقرب إلى الله بالصفيق والصفير واللهو والموسيقى والمعازف والرقص هذا كله من الضلال ومن الباطل الذي كان عليه أهل الجاهلية ، وماذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((لتَتَّبِعن سَنَنَ من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه)) قال ذلك عليه الصلاة والسلام محذراً أمته أن يسلكوا مسلك هؤلاء ، وهذا الأمر الذي حذَّر منه نبينا عليه الصلاة والسلام وُجد في بعض الأمة ، هذه الجاهلية الجهلاء وُجدت في بعض الأمة التعبد والتقرب لله تبارك وتعالى بالسماع والرقص والطبول والمزامير ، يتقربون إلى الله تبارك وتعالى بهذه الأمور مثل الجاهلية متشبّهين بأهل الجاهلية من الأُمّيين والكتابيين ، حتى أن بعضهم يمارس هذه الممارسات الآثمة داخل المساجد!! يأتون بالمزامير داخل المساجد ويزمرون وينشدون ويتمايلون ، حتى كتب أحد الأفاضل يصف هذه الممارسات التي تمارس ببعض المساجد كتب كتاباً سماه «ملاعب الوثنية» التي تحولت إليها بعض المساجد في بعض المناطق مما شاهده ورآه بعينه ووصفه، شيء لا يصدق، داخل المساجد حتى تحولت إلى أشبه مما تكون ملاعب أهل الوثنية والضلال والباطل ، عزفٌ ورقص وأنغام ونشيد وسماع ، "حَشَفٌ وسوءُ كِيلة" ، لهوٌ وباطل والأناشيد التي يُطرِّبون أسماع أنفسهم عليها فيها شركٌ وضلال وبدع وغلو ، وهم ماضون على مثل هذا العمل .

وليس الأمر عند هذا الحد بل بعض من أَلَّفوا المؤلفات وهم على هذا المسلك وعلى هذه الطريقة كتبوا أبواباً خاصة تتعلق بالسماع وتتعلق بالرقص الذي يفعلونه ، حتى إنه في أحد الكتب المشهورة المتداولة التي أُلِّفت وقُصد بتأليفها أن تُحيا بها علوم دين الإسلام، عُقد فيها باباً عُنوانه السماع ، وباباً آخر عنوانه الرقص وآداب الرقص الذي يكون في مثل هذه المجالس ، حتى قال صاحب ذلك الكتاب : أن سماع هذه الأناشيد وما يصحبها من تطريب ودُفّ ومزمار وغير ذلك أفضل من سماع القرآن من سبعة وجوه –هكذا قال! أفضل من سماع القرآن من سبعة وجوه– وأخذ يذكر وجوه سبعة بزعمه ومدعاه الباطل أنها أفضل من القرآن من حيث التأثير ومن حيث كذا ومن حيث كذا! ثم أنتقل بعد ذلك إلى الكلام على آداب الرقص ، يقول إذا كنت في مجلس سماع وحصل الإنشاد وحصل الدفوف وحصل الضرب وبدأ الرقص هناك آداب للرقص لابد أن تكون محافظاً عليها في مجالس الرقص ، كما أن للأكل آداب ولطلب العلم آداب وللجيرة آداب أيضاً الرقص له آداب ، وآداب الرقص تُعد على أنها جملة من آداب الإسلام. يا سبحان الله !! جاهلية جهلاء ، ثم يذكر في آداب الرقص أشياء ، يقول مثلاً – مما أذكر أنني قرأته بنفسي — يقول: إذا كان الشيخ في حلقة الرقص أشتد به الوجد وتفاعل مع المجلس ومزق ثيابه ، الشيخ مزق ثيابه مسك ثوبه ومزقه من شدة تفاعله مع مجلس الرقص ومزق ثيابه ، قال من الأدب في المجلس أن تخلع ثيابك! لأن ما يليق الشيخ يمزق ثيابه وأنت تبقى عليك هندامك، قال هذا خلاف الأدب . قال : الأدب الثاني إذا كان الشيخ وهو يهز ويرقص سقطت عمامته من على رأسه في المجلس قال من الأدب أن تخلع

عمامتك ، ما يليق أن الشيخ سقطت عمامته في المجلس من القرص والاهتزاز وأنت تبقى وعليك عمامتك! وأخذ يذكر آداب الرقص ، وتُقرأ في بعض الأماكن والبلدان على أنها آداب إسلامية وهي جاهلية جهلاء صنيع أهل الجاهلية تماماً ويلصقون كل هذا الباطل وكل هذا الضلال بالدين ويجعلونه جزءً من الدين الذي يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى .

وهذه المجالس وما يحتفّ بها من قِصع الطعام وأنواع المأكولات والمشتهيات يتنافسون على حضورها ، أما صلاة الجماعة والخشوع أمام الله سبحانه وتعالى والمحافظة على فرائض الإسلام هذه يفرطون فيها ولا يعتنون بها ، يُقرأ عليهم القرآن ما تنصدع قلوبهم ، وتُقرأ عليهم هذه القصائد الملحَّنة المطرَّبة فيدمعون ويتباكون ويقولون هنا فعلاً التأثير. ثم يروي قصة عن رجل وخلاصة القصة : أنه كان يقرأ القرآن من صلاة الفجر إلى قريب الظهر ما دمعت عينه ثم جاء رجل وقرأ عليه بيتين فدمعت عينه ، قال: هذا شاهد أن القصائد هي التي تؤثر! .

وهكذا مثل هذا الدجل والتلفيق والتزوير على الناس تخلط الأمور ويُدخل الناس في الضلال من أوسع أبوابه .

والمؤلف هنا رحمه الله تعالى ناصح للمسلمين ، أعطاك كلمة لا تبلغ سطراً لكنها كافية في التحذير قال : «**تعبدهم بالمكاء والتصدية**» ؛ فليحذر المسلم أشد الحذر أن يتقرب إلى سبحانه وتعالى بمثل هذا الضلال والباطل .

والإسلام جاء بإبطال ذلك ، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان:٦] قال ابن مسعود رضي الله عنه : «والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء»، وجاء هذا المعنى عن ابن عباس وعن غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي هذه الأمور الباطلة ليضل الناس عن سبيل الله . وكم أُضل الناس عن سبيل الله وعن إقامة الدين وعن المحافظة على الطاعات بمثل هذا اللهو الباطل ؛ تراهم يسمرون طوال الليل على اللهو مصحوباً بأطعمة ومشروبات إلى آخره ثم ينامون عن صلاة الفجر!! قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السمر بعد هدأة الليل كل ذلك حفاظاً على صلاة الفجر وعلى قيام الليل ، وهؤلاء بعيدون كل البعد عن هذه المعاني العظيمة الجليلة التي جاء بها الإسلام . وجاء عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري وغيره قال: ((لا تقوم الساعة حتى يستحل أقوامٌ من أمتي الحِرَ والحرير والخمر والمعازف)) يستحلونها : أي أنها حرام لكنهم هم يعتقدون أنها حلال . وليس هذا فقط بل يعدونها من القُرب التي يتقربون بها إلى الله تبارك وتعالى ، نسأل الله عز وجل لنا جميعاً الحفظ والعافية.

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والعشرون: أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعبا.

****

«**الثانية والعشرون : أنهم** -أي أهل الجاهلية – **اتخذوا دينهم لهواً ولعبا**» ، اتخذوا دينهم لهواً ولعبا تحتمل أحد معنيين وكلاً منهما صحيح من حيث واقع هؤلاء .

اتخذوا دينهم : أي الدين الذي منَّ الله سبحانه وتعالى على البشرية به دين الإسلام ؛ اتخذوه لهواً ولعبا ، أي أنهم إذا ذُكر لهم الإسلام أو ذُكرت لهم أحكام الإسلام أو أوامر الدين سخروا واستهزئوا وجعلوا ذلك مجالاً للتندر والضحك واللعب والعبث.

والمعنى الآخر: أن الأديان التي اخترعوها لأنفسهم وارتضوها لأنفسهم هي أقرب إلى أن تكون نوعاً من العبث واللعب منها إلى أن تكون تعبداً وتقرباً ، مثل ما مر معنا في المعازف والملاهي والرقص هذه نوع من اللعب ليست عبادة ، العبادة لا تكون بمثل هذا اللعب، فهم اخترعوا هذه الأعمال وجعلوها ديناً وعبادة فاتخذوا دينهم لهواً ولعباً؛ أي اخترعوا من الدين والعبادات أشياء من اللعب والعبث ليست ديناً ، فهذا معنى قوله ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف:٥١] .

وهذا الأمر الذي ذكره المصنف رحمه الله عن أهل الجاهلية أيضاً وُجد في بعض المنتمين للإسلام ؛ جعلوا الدين وما يتقربون به لله عز وجل مجالس للرقص وللمعازف وجعلوها ديناً ، بل إن بعضاً منهم من إفكه وافترائه وتلبيسه على العوام استشهد على هذا الباطل بآيات القرآن الكريم ، عبثاً بالقرآن واتخاذاً للدين لهواً ولعباً، أحدهم قال: قول الله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] قال هذا دليل على الرقص! هذا ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ ، قال : يعني يقفز ويقوم ويتمايل هذا معنى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، قال هذا دليل من القرآن على مشروعية الرقص والتقرب به إلى الله ، هكذا قال .

هذا داخل تحت هذه الجاهلية ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ ، بينما سَل كل مسلم حماه الله تبارك من باطل هؤلاء وإفكهم ما معنى قوله: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ ماذا يقول ؟ أي وهو قائم يذكر الله ، وهو قاعد يذكر الله ، وهو نائم على جنبه يذكر الله ؛ أي أنه ذاكر لله على كل أحواله ، هذا معنى الآية، كما قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه» ؛ وهو نائم على جنبه يذكر الله ، وهو جالس في مجلسه يذكر الله ، وهو قائم يذكر الله ، وهو ماشي يذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، أي في كل أحوالهم يذكرون الله ؛ هذا معنى الآية وهو معنى واضح ، لكن من اتخذوا دينهم لهوا ولعباً

طريقتهم هي هذه يعبثون بآيات القرآن ويعبثون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل نشر الضلال الذي يمارسونه والباطل الذي يقترفونه.

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه ، كقوله: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥].

****

المسألة الثالثة والعشرون : «**أن الحياة الدنيا غرتهم**» أي فتنتهم ، والدنيا فيها فتنة ، فهؤلاء غرتهم الحياة الدنيا ؛ أكرمهم الله عز وجل بالمال منَّ عليهم بالمال بالرزق بالصحة بالولد بالمساكن فغرَّهم ذلك ، غرتهم الحياة الدنيا وشغلتهم عما خُلقوا لأجله وأُوجدوا تحقيقه ، فظنوا أنَّ عطاء الله منها يدل على رضاه ، ظنوا أن عطاء الله لهم أي من الدنيا أعطاهم مال أعطاهم صحة، أعطاهم مساكن كبيرة وجميلة ، أعطاهم أولاد ، ظنوا أن عطاء الله سبحانه وتعالى لهم من الدنيا دليل على رضاه عنهم، وهل عطاء الله سبحانه وتعالى للإنسان من الدنيا دليل على رضاه؟ أم أنه تبارك وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب؟ قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء)) ، فضلاً عن أن يعطي قصوراً أو يعطي أملاكاً واسعة ((ما سقى منها شربة ماء)) أي كأس ماء واحد لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة .

فعطاء الإنسان من الدنيا ليست دليلاً على فضله ولا على نبله ولا على صلاحه ، وأقرأ في القرآن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ هؤلاء: أي الكفار ، وهؤلاء: أي المسلمين ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ أي في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢٠-٢١] ؛ فالدنيا يعطيها الله سبحانه وتعالى من يحب ومن لا يحب، بل قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر)) ، فالمؤمن قد لا يعطى شيء من الدنيا ، قد يعيش إلى أن يموت وهو فقير ، بل قال عليه الصلاة والسلام ((ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه)) أي من صلاحه وتقواه وفضله واستقامته على طاعة الله ومحافظته لأوامر الله .

فالدنيا يعطيها الله سبحانه وتعالى من يحب ويعطيها من لا يحب ، وليس العطاء في الدنيا دليلاً على الرضا ، لكن أهل الجاهلية إذا نظروا عندهم عافية عندهم صحة عندهم مال عندهم أولاد يظنون أن هذا دليل على الرضا .

قال: «كقولهم ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] » الدليل على أن لن نعذب ما هو؟ أننا أكثر أموال وأولاد ، أعطانا الله أموال وأعطانا أولاد لا يعذبنا ، أما أنتم ما عندكم مال ولا عندكم أولاد وأنتم أفقر منا أنتم أحق بالعذاب منا ما أعطاكم شيء وأعطانا ، فكونه أعطانا أموالاً وأولاد هذا دليل على أنه لن يعذبنا! هذا استدلال هؤلاء وطريقتهم في الاستدلال وردِّ ما جاء به الأنبياء ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ .

أيضاً صاحب الجنتين ماذا قال لصاحبه عندما كان يحاوره؟ في سورة الكهف ﴿قال أنا أكثر مالاً وأعز نفراً﴾ هذا دليل على أنني أفضل منك ، عندي مال أكثر من مالك وأعز من نفرك ، فهذا دليل على أنني أفضل منك وأنني أنا الذي لي الشأن ولي المكانة إلى آخره .

فيغترون بالحياة الدنيا ، يغتر بما أتاه الله من الصحة من المال أنظر إلى قول فرعون ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١] غرته الأنهار التي تجري من تحته غرَّته القصور العالية غرَّه الجنود غرَّه إلى آخره يقول متفاخراً ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ ، لما كان غروره بهذه الأنهار أغرقه الله بالماء ، جعل عذابه غرقاً ، أنهار تجري من تحته غرته إلى أن قال «أنا ربكم الأعلى» ، قال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] مغتراً جعل الله سبحانه وتعالى هلاكه غرقاً بالماء ، حتى أنه أعلن وهو يغرق ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس:٩٠] ولكنه إيمان لا ينفع لأنه إيمان عن مشاهدة ، ولا ينفع الإيمان إلا إذا كان إيماناً بالغيب .

فالشاهد أن هؤلاء غرتهم الحياة الدنيا ، غرَّهم توسيع الله عليهم بالمال ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] ، مدَّ الله لهم بالمال والأولاد ليس هذا دليلاً على أن هذه مسارعة لهم بالخيرات ؛ هذا استدراج ، ابتلاء ، امتحان ، اختبار ، ليس توسيع الله عليهم بالمال والولد مسارعة بالخيرات بل قد يكون المال الذي يوسع على الإنسان فيه فتنةً له وسبباً لتعلقه بالدنيا وتركه للدين ، فليس من الشرط أن يكون التوسعة المال دليل الرضا . الشاهد أن هؤلاء فتنوا بالدنيا وظنوا أن عطاء الله سبحانه وتعالى من الدنيا دليلاً على رضا الله تبارك وتعالى عنهم ، وقد عرفنا من الشواهد العديدة من القرآن والسنة أن العطاء من الدنيا ليس دليلاً على الرضا ؛ فإنه تبارك وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، وأما الآخرة فلا يعطيها تبارك وتعالى إلا من يحب.

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والعشرون: تركُ الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأَنفة ، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام:٥٢] الآيات .

****

قال رحمه الله : «**الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأَنفة**» هذا أيضاً نوع من الافتتان الذي ابتلي به هؤلاء بسبب وجود المال والولد والعطاء والصحة والعافية ، أُفتُتِنوا بذلك واغتروا به وامتنعوا من قبول الحق الذي جاء الأنبياء لكون الضعفاء سبقوهم إليه ، الضعفاء من الخدم والموالي والرقيق والفقراء ونحو ذلك سبقوهم إلى الحق والهدى فامتنعوا من قَبوله وأخذوا الأمور بالأنفة ؛ قالوا كيف ندخل في هذا الدين الذي سبقنا إليه الضعفاء !! فامتنعوا من قبول ما به نجاتهم في الدنيا والآخرة بسبب أن الضعفاء سبقوهم إليه . وهذا نوع من الكبر والغرور ، ونوع من الاغترار بالدنيا والعطاء الذي من الله سبحانه وتعالى عليهم به ؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، قد قال أهل العلم وأوردوا ذلك في كتب التفسير في سبب نزول هذه الآية : أن بعض أعيان المشركين طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يُبعد هؤلاء الضعفاء ، "أبعد عنك هؤلاء الضعفاء ومَن هُم أقل منا منزلة ومكانة وننظر في الأمر في إتباعك ، أما نتبعك ومعك هؤلاء الضعفاء لا نتبعك" ، قال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعني مَن مَنَّ الله عليه بالإسلام والهداية والتوحيد والاستقامة هؤلاء تصبر نفسك معهم ولو كانوا ضعفاء ولو كانوا من كانوا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١].

****

المسالة الرابعة والعشرون : «**ترك الدخول في الحق بسبب سبق الضعفاء**» وهنا رد الحق واعتقاد بطلانه لكونه سبق إليه الضعفاء ، وطريقة تقريرهم لهذا الاستدلال يقولون : لو كان هذا الذي يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم حق لما سبق إليه ضعفاء الناس ، بل سبق إليه العظماء والكبار وأصحاب الرأي وأصحاب الفهم ، أما كونه لم يسبق إليه إلا الضعفاء فهذا دليل على بطلانه .

إذاً المسالة الرابعة والعشرون أن تركهم للحق كان أنفة بسبب سبق الضعفاء إليه ، والمسالة الخامسة والعشرون

يستدلون بسبق الضعفاء إلى الحق أن هذا دليل على بطلانه ؛ لأنه لو كان حقاً لما سبق إليه الضعفاء بل يسبق إليه الوُجهاء والأعيان أصحاب الأموال أصحاب الفكر .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

****

التحريف : التبديل والتغيير ، تحريف كتاب الله: أي تغييره وتبديله ؛ وهذا يشمل التحريف اللفظي والتحريف المعنوي. التحريف اللفظي: بتغيير الألفاظ ، مثل تحريف اليهود ومن اتبع اليهود؛ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[البقرة:٥٨] هكذا قال الله تعالى فحرفوا هذا اللفظ وقالوا «حنطة» زادوا نوناً . فالتحريف قد يكون للألفاظ وقد يكون للمعاني، يكون المعنى واضح ولكن يعطي الآية معنىً آخر يوافق هواه ، نظير ما نقلت لكم قريبا عن أحدهم يقول إن قوله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران:١٩١] دليل على الرقص الباطل ، هذا تحريف معنوي لأنه يعطي الآية معنى لا تدل عليه يحرِّف معنى الآية .

وهذه طريقة المبطلين ومطيَّة الأفَّاكين ؛ يتخذون التحريف تُكأَةً لهم لنشر باطلهم ، إن استطاع أن يُحرّف الألفاظ حرفها ، وأن لم يستطع أن يحرف الألفاظ حرَّف المعاني . وفي الكتب السابقة كان تحريف الألفاظ متمكنٌ منه هؤلاء لأن الله عز وجل وكل إليهم حفظ تلك الكتب ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾[المائدة:٤٤] ، وكل إليهم حفظ تلك الكتب فحرَّفوا حتى ألفاظها ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة:٧٩] ، فكانوا يكتبون أشياء بأيديهم ويضيفونها إلى التوراة ، ويمسحون أشياء من التوراة ويطمسونها ويضعون بدلها أشياء ، يكتبونها هم بأيديهم وينشرونها بين الناس ويقولون هذا من عند الله ، والتوراة والإنجيل مليئان بالأشياء التي كُتبت بأيدي المضلين وتُنسب إلى الله تبارك وتعالى مما ينزه عنه عز وجل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢] ؛ نزه نفسه تبارك وتعالى عما يصفه به أعداء الرسل وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه بحق الله من النقص والعيب . والتوراة والإنجيل فيها من الإفك والباطل والافتراء على الله ونسبة النقائص إلى الله تبارك وتعالى ما ينزه عنه ويُقدس تبارك وتعالى.

وأيضاً في أهل التوراة والإنجيل من التحريف المعنوي ما لا حد له ولا عدّ ، أما القرآن قد صانه وحفظه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] ، فالقرآن محفوظ ولا يُغيَّر ولا يُبَدَّل ، لكن من لم يتمكنوا من تحريف

ألفاظ القرآن اشتغلوا بتحريف معاني القرآن دَجْلاً على الناس ونشراً للباطل ، ولهذا كثر عند أرباب الباطل والضلال تحريف القرآن حسب رغباتهم وعقائدهم الزائفة الباطلة ومذاهبهم المنحرفة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦] أي بتغيير معانيه وتبديلها وتغييرها ، فكان من عقائد أهل الجاهلية «**تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**» فهذه جاهلية ، تحريف الكتاب بتغيير ألفاظه أو بتغيير معانيه هذه من الجاهلية ومن سنَّة اليهود ، ومن اشتغل بالتحريف فله شبه باليهود لأن هذه سنة اليهود وطريقتهم .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كقوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩] .

****

المسالة السابعة والعشرون : «**تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله**» وهذه طريقة من طرق هؤلاء في نشر باطلهم، يؤلف الواحد منهم كتاباً قائماً على الدجل والإفك والشعوذة والباطل وينسب باطلة إلى الله تبارك وتعالى؛ يقول هذا من عند الله أو هذا من الدين الذي بُعثت به رسل الله ، يفعلون ذلك وذلك من أجل أن يروجوا باطلهم، ولهم في ذلك طرق عديدة ، كيف يُقنعون العوام أن هذا من عند الله ؟ لهم طرق عديدة ؛ بعضهم يقول :كُوشِفتُ بذلك مكاشفة، وبعضهم يقول: حدثني بذلك قلبي عن ربي ، وبعضهم يقول: كُشِف لي اللوح المحفوظ فنقلته منه، وبعضهم يقول: رأيت ذلك مناماً، إلى آخر المسالك التي يسلكها هؤلاء في طريقة إقناع العوام والطُّغام والجُهال بأن هذا الذي عندهم من عند الله أو جاءت به رسل الله . وكثيراً ما يصدِّرون كتبهم الباطلة بمثل هذا الدجل ، إما أن يقول كوشفت ، أو يقول حدثني قلبي عن ربي ، حتى أنهم ينتقصون أهل الحق والهدى يقولون أنتم تأخذون دينكم ميت عن ميت حدثنا فلان عن فلان عن فلان هؤلاء أموات ، أما نحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت مباشرة عن الله عز وجل! دجل على العوام والطغام والجهال حتى يروجوا الباطل .

قلت لكم قريباً أنني رأيت كتاباً ألَّفه صاحبه في باب الذكر والدعاء ، والكتاب مليء بالطلاسم والشعوذة والاستغاثات الشّركية وكلمات غير واضحة وغير مفهومة كلمات غامضة وأسماء غامضة ، وقلت في نفسي مَن مِن الناس يقبل يقرأ هذا الكتاب أو ينظر فيه؟! ما أظن أن أحداً يقبل هذا الكتاب ، ثم نظرت في آخر الكتاب فإذا بصاحب الكتاب يقول : "لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ترددت كثيراً في نشره ، فأتاني النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ثم قال لي لماذا تحرم الناس من هذا الخير! عجّل بنشره" ويقول في نفس المنام أتاني أبو بكر وقال لي عجّل ، وجاءني عمر وقال عجّل وجاءني عثمان قال عجّل! الخلفاء الراشدين الأربعة بعد النبي صلى الله عليه

وسلم كلهم جاءوه في نفس المنام ، وأصبح وذهب يجري إلى المطبعة وطبع الكتاب! العوام لما يرون مثل هذا الدجل ماذا يقولون؟ يقولون متفق عليه ليس فيه كلام ، النبي صلى الله عليه وسلم قال له وأبو بكر وعمر هذا خلاص.

فهذه طريقة لنشر الباطل ؛ ينسبونه إلى الله أو ينسبونه إلى الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وطريقة نسبة الباطل إلى الله أو إلى الرسل بمثل هذه المسالك ، إما ما يسمي بالمكاشفة أو مثلاً المنام أو غير ذلك من الطرائق ، وهي طرائق كثيرة يسلكها أهل الباطل .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والعشرون: أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة:٩١].

****

أنَّ من طرائق أهل الجاهلية ولا سيما أهل الكتاب «**أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم**» ؛ يعني الشيء الذي وجدوه ونشؤا عليه في طائفتهم يقبلونه ، أما ما سوى ذلك يردونه بحجة ماذا؟ بحجة أنه ليس موجوداً عندهم ولا معروفاً عندهم ، أو أنهم لم يسمعوا به ولم يمر عليهم مثله ؛ فهذه من الجاهلية ، مَن الذي يدَّعي لنفسه أنه أحاط أو أحاط جماعته أو رفقته بالخير ، حتى لو كان إنساناً جاداً في العلم والطلب قد يغيب عنه أنواع من العلوم لا يتمكن منها فيظفر بها عند غيره ، أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم ((رب حامل فقهٍ غير فقيه ، وربَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه)) ، هذه الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف ((ربَّ حامل فقهٍ وهو غير فقيه وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)) هذه تقطع الجاهلية التي كان عليها هؤلاء .

((رب حامل فقه غير فقيه)) إذا جاءك الحق من رجل أقل منك منزلة أو أقل منك مكانة أقبله ، بعض كبار السن إذا جاء له واحد من أولاده أو أولاد أولاده بحديث صحيح أو بحكم واضح من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يرده ، لا لشيء إلا لصغر سنه ، يقول من أنت الآن ؟! أنت من أولاد أولادي والآن تأتي تعلمني هذا الحديث ويطرده ، لا يقبل منه بحجة أنه ما عرفه إلا من هذا الصغير ، بعض الناس بهذه الطريقة ، وأيضاً في الوقت نفسه بعض طلاب العلم الصغار ما يحسن أن يتأدب مع كبار السن فيستفزهم ويستثيرهم وينشئ فيهم حمية تُضر بهم وبه لا يتأدب معهم ، بينما الأدب مفتاح القلوب ، واحترام الكبار وتوقيرهم وحسن الأدب معهم مفتاح القلوب . قد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

لما دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة فاتحاً ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بوالده ، لم يسلم كان بعد في ذلك الوقت ، جاء بوالده وإذا كل شعره أبيض رأسه وحواجبه ولحيته بيضاء كأنها ثغامه كما جاء في الحديث ، فجاء به ممسكا يده فجاء به عند النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان للتو دخل مكة فاتحاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ((يا أبا بكر لماذا جعلت هذا الشيخ يأتينا! ألا أخبرتني أنا الذي آتيه؟)) هذا الكلام ماذا يصنع في القلوب ؟ الأدب العالي الرفيع العظيم ماذا يصنع في القلوب ؟ ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال ((تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟)) قال : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله».

فالصغير إذا بلغه شيء من العلم وأحب أن يفيد به كبيراً بالسن فيجب أن يتأدب وأن يراعي الأدب حتى لا يفتح على كبير السن نوعاً من الحمية الجاهلية ، كأن يقول مثلاً للكبير : سمعتُ اليوم حديثاً أعجبني وأنا متأكد أنك سمعته قبلي عشرات المرات ، أنت أكبر مني سناً وأعلم مني ، حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، والله أنا اليوم سمعت هذا الحديث ، أنت أكيد قبلي سمعته عشرات المرات ، سبحان الله هذا حديث عظيم وفيه فوائد .. بمثل هذه الأساليب ونحوها وما أشبهها وما قاربها باللين والأدب وحسن المعاملة واحترام الكبير تتحقق الفائدة ، ثم بعض الآباء تجد مثلاً ابنه إذا كان استقام ما يحقق الواجب الشرعي مع والده من بر الوالد وحسن المعاملة والقيام بحقوق الوالد وطاعته ، ما يقوم بها ووالده يعلم أن هذه واجبه عليه في الإسلام وحق من حقوقه يراه مضيعاً لها ثم يأتي هذا الولد ويقول يا والدي أنت لماذا لا تعمل كذا الحديث كذا، ما يقبل منه لأن الابن نفسه مُضيّع . وهكذا تنشأ الفتنة بين الآباء والأبناء بسبب تضييع المشترك من الأب ومن الأبناء . على كل حال ينبغي على الإنسان أن يروض نفسه على قبول الحق والطَّواعية ولين الجانب ، لأن الحق أحق أن يتبع .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم كما نبَّه الله تعالى عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١].

****

ثم ذكر مسالة وهي التاسعة والعشرون وهي تابعة لما قبلها ؛ «**أنهم مع ذلك**» أي أنهم مع أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم «**مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم**» يعني ما تقوله طائفتهم من الحق لا يعلمون به كُلّه، بل يغيب عنهم من الحق الموجود عند طائفتهم الشيء الكثير .

واستدل على ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هل موجود

عند طائفتكم مشروعية قتل الأنبياء ؟ فمع كونهم لا يقبلون من الحق إلا ما كان عند طائفتهم فإنهم يمارسون من الباطل ما ليس عند طائفتهم ، وكما قال المصنف «مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم» ولهذا يمارسون من الباطل أموراً ليست هي موجودة عند طائفتهم . ومثل هذه الأمور توجد عندما تكون هناك تعصبات لأهواء ولطرق معينه ونحو ذلك ؛ تجد بعضهم لا يقبل من الحق إلا ما وُجد عند الطائفة التي يتعصَّب لها ، وفي الوقت نفسه ليس ملماً بكل ما يوجد عند الطائفة ، قد يكون عندها بعض الخير وكثير من الشر ، وبعض الخير الذي عنده لا يعرفه فلا يكون ملماً به ، فيقول: أنا لا أقبل من الحق إلا ما عند طائفتي ، ثم إن عند طائفته من الحق ما لا يعرفه ولا يعمل به.

والواجب على المسلم أن يجمع لنفسه بين أمرين : العلم النافع وهو قال الله و قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، والعمل الصالح أي بهذا العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . قد قال الله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧] والمنعم عليهم : هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، والمغضوب عليه : من عنده علم نافع لا يعمل به ، والضال: من عنده عمل بلا علم ، ولهذا قال من قال من السلف : «من فسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبهٌ من النصارى».

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .